الفصل الحادي عشر

عندما أراد فاروق أن يهرب بطائره
فليوكوبتر أثناء حريق القاهرة !

أخذت الحوادث تجرى بسرعة بعد أن تمت ولادة ولى العهد.

وكان كل شئ يوحى بأن الموقف يمكن أن يتأزم فى أى لحظة.

ولم يكن من الصعب على الملك أن يدرك، أن الشعب لم يعد يحبه.

كما أن الجيش لم يكن معه..

وفجأة اندلعت النيران فى أرجاء مدينة القاهرة.. وكان حريق القاهرة الذى هز كيان فاروق بعنف.

وأذكر أننى كنت فى بيتى فى مصر الجديدة، عندما تدهور الموقف فى يوم حريق القاهرة، ولم أكن قد سمعت عن المظاهرات التى ملأت الشوارع،وعن الحرائق التى نشبت فى مختلف أرجائها .

وكانت مصر الجديدة تبدو هادئة، فلم تقع فيها حوادث شبيهه بالحوادث التى وقعت فى قلب القاهرة.

وفجأة دق جرس التليفون فى بيتى لأسمع ـ عندما رفعت سماعته ـ صوت حمدي الجريتلى ياور الملك..

كان يتكلم بسرعة وهو يقول:

- مصطفى.. الملك بيقول لك تعالى حالا.

قلت له: خير .. فيه إيه.

قال: الملكة عاوزاك.. المهم تيجى بسرعة.

وتبادر إلى خاطرى فى تلك اللحظة.. أن مشادة جديدة قد وقعت بين ناريمان والملك.

ولم يكن أمامى - كالعادة - إلا أن أستقل سيارتي، ثم اندفعت بها مسرعا فى طريقى إلى قصر عابدين..

وأثناء الطريق.. كان فكرى متجها إلى ما يجب أن أقوله لناريمان حتى يزول سوء التفاهم بينها وبين الملك.

وهكذا كنت خيالي الذهن تماما عن كل ما وقع فى قلب القاهرة.

* * *

وفى ميدان محطة مصر أستوقف سيارتي واحد من الغوغاء الذين كانوا ينتشرون فى مختلف أرجاء الميدان.

كان ممسكا فى يده بقطعة طويلة من الخشب، وقد أخذ الرجل يلوح بها فى وجهى وهو يقول:

- عاوزين شوية بنزين من تنك العربية.

قلت له: أتفضل خذ اللى أنت عاوزه.

ثم أشرت إليه ناحية (التنك) فى مؤخرة السيارة حتى يحصل على ما يريد من البنزين.

وأتجه الرجل ناحية مؤخرة السيارة، ولم أنتظر، وبادرت بالاندفاع بالسيارة هاربا، تاركا الرجل ورائى وهو يلعن ويسب.

ونظرت إلى المرآة المثبتة أمامى فى السيارة لأراه وكان يلوح بقطعة الخشب التى فى يده مهددا.

المهم تسللت إلى قصر عابدين من الباب الخلفى، وكان حمدي الجريتلى ياور الملك هو الذى نصحني بأن أدخل القصر من هذا الباب.

قال لى عندما استدعانى فى التليفون:

- لما تيجى أبقى أدخل من الباب الورانى.

كانت نصيحة غريبة... ولم أفهم ما كان يعنيه منها إلا بعد أن وصلت إلى القصر.

كان أشبه بثكنة عسكرية فى حالة حرب.

وفوجئت بجنود الحرس الملكى، وكانوا جميعا يرتدون ملابس الميدان ورأيتهم وهو يثبتون المتاريس وراء الأبواب، وينقلون صناديق الذخيرة ويضعونها بجوار المراكز التى أعدوها للدفاع عن القصر.

واندفعت أجرى ناحية جناح الملك فى الطابق الأعلى.

وكانت مفاجأة عندما رأيت، وكان يرتدى هو أيضا ملابس الميدان الكاملة.. وكان يعلق مسدسا كبيرا فى حزامه.

وكانت ناريمان تقف إلى جواره وهى تحتضن أبنها الطفل.

ورآني الملك وأنا مقبل عليه، فقال لى بانفعال ظاهر:

- إيه اللخبطة اللى بره دى؟

قلت له: والله يافندم.. أنا كنت خالى الذهن، وأنا لسه جاى دلوقت.

قال الملك: خالى الذهن إزاى.. أنت مش عارف إنى أنا المقصود بالذات بالحكاية دى.

لم أعرف ماذا يجب أن أقوله للملك، ولم يكن فى وسعى إلا أن أسكت فلم أقل شيئا.

كان الملك يرتعد من الخوف، ولكنه كعادته كان يحاول أن يظهر عدم المبالاة.

وكان، واضحا، وهو يروح ويغدوا فى أرجاء القصر، أنه يغتصب الابتسامات من فمه بصعوبة..

وأدركت الموقف على حقيقته، فقد كان فى تصور الملك أن الغوغاء ستتجه لمهاجمة القصر بعد أن تفرغ من حرق القاهرة.

وكان أن طلب من الحرس الملكى أن يقف فى حالة تأهب واستعداد للدفاع عن القصر ضد أى هجوم.

ولم ينتظر وقام بالإشراف بنفسه على عملية تحصين القصر.

وكان هو الذى وزع جنود الحرس الملكى المسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق سريعة الطلقات وراء جميع النوافذ.. وفوق الأسطح.

وكانت تعليماته صريحة وواضحة بإطلاق الرصاص فى (المليان) عندما يبادر المتظاهرون بالهجوم على القصر.

* * *

وكان طبيعيا أن تنهار أعصاب ناريمان مع التعليمات المتلاحقة التى كان الملك يصدرها بين الآونة والأخرى إلى رجال الحرس الملكى.

وكان أن أخذت ترتعد هى أيضا من الخوف، وعندما رأتني أندفعت ناحيتي ثم تشبثت بملابسي وهى تصرخ بطريقة هستيرية، وكانت تقول لى:

- دول عاوزين يقتلونا يا أونكل.. حنعمل إيه.

وأخذت أربت على كتف ناريمان وأنا أهدئ من روعها كعادتى.

وفى تلك الأثناء تركنا الملك، وذهب يتفقد عمليات تحصين القصر.

كان قلقا.. فلم يجلس فى مكانه دقيقة واحدة.

ولما عاد الملك.. قال لى:

- إتصل يا مصطفى بالمطار، وخليهم يبعثوا لنا طيارة هليوكوبتر، يمكن نحتاج لها.

وأدركت أن فكرة جديدة قد أخذت تتراقص فى مخيلة الملك.

لقد قرر فجأة أن يهرب من قصر عابدين.

ولم يكن قائد الأسراب حسن عاكف موجودا فى ذلك اليوم فى القاهرة.

كان الملك قد أوفده فى مهمة إلى أثينا.

وكان الطيار مدكور أبو العز يتولى قيادة السرب الملكى مكانه..

ولم أنتظر وبادرت برفع سماعة التليفون، ثم أتصلت به فى مطار ألماظة.

قلت له: الملك عاوز طيارة هيلوكوبتر تيجى بسرعة إلى عابدين.

قال مدكور أبو العز: يا خبر أسود.. ده مستحيل.. لأن الطيارتين الهليوكوبتر اللى عندنا فى (العمرة) أى فى التصليح وغير صالحتين للطيران.

قلت له: أقول للملك إيه.

قال: وحياتك يا مصطفى حاول تفهمه الحكاية بهدوء، وقول له مستحيل نبعث له الطيارة اللى هو عاوزها.

وفجأة أنهارت أعصابه وكان واضحا أنه قد أصيب بخيبة أمل.

قال لى: عاكف كان لازم يطمئن على الطيارتين قبل ما يسافر.

قلت له يا أفندم عاكف مسافر.. والمهم نشوف حل.

قال الملك كلمة لا يمكن أن أنساها أبدا فى حياتى.. فقد أمسك كتفى بيده، ثم التفت ناحيتى وهو يقول، وكان يبدو أن الحسرة تملأ قلبه:

- حل إيه ياسى مصطفى..الظاهر إحنا وقعنا خلاص.

طلب تدخل الجيش:

كان فاروق فى حالة يأس فى ذلك اليوم.. وكان فى تصوره إن نهايته قد إقتربت.. !

وكانت تصل إليه بين الآونة والأخرى تفصيلات الحوادث التى امتلأت بها شوارع القاهرة.

وأشتد قلق الملك وكان مما يزيد فى قلقه أن أحدا من مستشاريه لم يكن إلى جانبه فى ذلك اليوم.

كان إلياس آندراوس فى الإسكندرية، وكان قد ذهب إليها فى اليوم السابق للاشتراك فى تشيع جنازة سليمان قاسم.

وكان أنطون بوللى فى إيطاليا.

واستدعى الملك الفريق حيدر (باشا)، وطلب إليه أن يتدخل الجيش.

قال له: إن الجيش وحده هو الذى يستطيع أن ينقذ الموقف.

وحاولت فى تلك الأثناء أن أغادر القصر.

كنت أريد أن أتجول فى الشوارع لأطمئن على الحالة.

وتشبثت ناريمان بملابسي.. وهى تقول لى:

- مستحيل تنزل يا أونكل.. أنت عاوزهم يقتلوك.

قلت لها: متخافيش .. أنا نازل وجاى بسرعة.

وفى ميدان عابدين رأيت أغرب منظر وقع عليه نظرى أثناء الحوادث التى وقعت يوم حريق القاهرة.

كانت هناك قهوة بلدي، وقد شاهدت نصف هذه القهوة وقد أكلته النيران أما النصف الآخر فقد كان بعض الأهالي يلعبون بداخله الطاولة .

ولم أستطع أن أذهب بعيدا، وبادرت بالعودة مسرعا إلى القصر.

وأذكر أننا صعدنا إلى سطح القصر، وكان معنا أحد شمرشجية الملك الخصوصيين.

كان يسكن فى بيت قريب من قصر عابدين، وفجأة صرخ الرجل عندما تطلع بنظرة ناحية بيته.

كان البيت يحترق.

وكما فهمنا.. كان المتظاهرون قد أشعلوا النار فى خمارة تقع فى أسفل البيت ومنها امتدت النار حتى أكلت البيت كله.

ولم يكن فى وسع الرجل أن يفعل شيئا لإنقاذ بيته، فأخذ يبكى بحرقة..

إننى لم أعد أذكر أسم هذا الشماشرجي.. ولكنه واحد من شماشرجية الملك الخصوصيين.. وكل ما أستطيع أن أجزم به، هو أنه كان الشماشرجى الثالث.. وأذكر أنه كان يعمل مع محمد حسن.. وخليل..

* * *

المهم.. نزل الجيش إلى الشوارع لينقذ الموقف..

وهدأت الحالة مع صباح اليوم التالى..

وكنت قد أمضيت ليلتي ساهرا فى قصر عابدين، ولم ينم الملك هو أيضا فى تلك الليلة دقيقة واحدة.

وكانت وزارة على ماهر الأولى قد تشكلت إنقاذا للموقف..

أنها الوزارة التى جاءت بعد حريق القاهرة..

وعاد الملك من جديد إلى لهوه ومجونه..

وكان أن أخذ يتردد فى كل ليلة على نادى السيارات..

وأبرق إلى أنطونى بوللى فى إيطاليا يستدعيه ويطالب إليه أن يبادر بالعودة إلى القاهرة..

وعاد أنطونى بوللى، وبعد وصوله بعدة أيام.. وصلت إلى القاهرة حسناء إيطالية أستحوزت على كل تفكير الملك.

كان يقضى معها كل أوقاته.. وكان يصطحبها معه فى كل السهرات التى كان يقضيها خارج القصر..

وعرفت ناريمان بقصة هذه الحسناء، فكادت أن تثير أزمة لولا أننى استطعت إقناعها بأن تلتزم الصمت، وأن تسكت.. وأنا أقول لها:

- ولا كلمة واحدة.. وكأنك لا شفت.. ولا سمعت..

وكان فى رأيى.. أن ناريمان قد أنجبت له الولد الذى يريده، وبالتالى فهى قد أصبحت فى نظره قد أدت مهمتها.. !

سيارة وعقد زمرد:

وكان فاروق قد وعد ناريمان أثناء شهر العسل، وأثناء فترة الحمل بأن يهدى إليها سيارة (كاديلاك).. قال لها:

- سأهديك هذه السيارة، ولكن بشرط واحد، وهو أن يكون المولود ذكرا وفى مرة أخرى.. قال لها:

- السيارة (الكاديلاك) مش كفاية.. حاجيب لك عقد زمرد بس شدي حيلك وجيبي الولد..

وأنجبت له ناريمان الولد، ثم أخذت تنتظر أن يفي فاروق بوعده فيقدم إليها السيارة (الكاديلاك) .. وعقد الزمرد.

ولكن فاروق تناسى كل وعوده..

وفى أحد الأيام كنت فى زيارة لناريمان عندما شكت لى من أن فاروق لم يف بوعده لها..

قلت لها محاولا الابتعاد عن مثل ذلك الموضوع لحساسيته:

- كلميه أول ما تشوفيه.. واسأليه عن الهدية.. ؟

قالت والله يا عمى أنا مكسوفة،هو إذا كان عاوز يعبر عن شعوره..ضروري ألفت نظره.. ؟

وعملت ناريمان بنصيحتي وكان أن انتهزت أول فرصة لتسأل فاروق عن الهدية التى وعدها بها.

واضطر فاروق لأن يبر بوعده، وكان أن قال لها:

- بكره تكون عندك العربية..

قالت له: والعقد الزمرد.. ؟

وسكت فاروق ولم يقل لها شيئا..

وأذكر أن فاروق جاء إلى ناريمان فى اليوم التالى، وكانت مريضه.. ليقول لها:

- تعالى أوريك العربية..

وحملنا ناريمان على كرسى أنا وفاروق ثم نقلناها إلى جوار نافذة حجرتها لتشاهد السيارة الجديدة، وهى واقفة فى فناء القصر..

وأعجبت ناريمان بالسيارة.. كانت سيارة جميلة..

ولكن ناريمان لم تستخدم هذه السيارة مرة واحدة، فقد تلاحقت الحوادث، وذهب فاروق من مصر بلا رجعة..

وبقيت هذه السيارة فى جراج القصر..

وكانت ناريمان قد تقدمت إلى المسئولين فى مجلس قيادة الثورة بعد طلاقها من فاروق وعودتها إلى مصر تطلب استرداد هذه السيارة..

قالت: أن فاروق اشتراها من جيبه الخاص أى من أمواله الخصوصية، وأهداها لها بمناسبة ولادتها، وأن هذه السيارة أصبحت من ممتلكاتها الخاصة..

وقام المسئولون بدراسة الموضوع، وقد تبين أن فاروق لم يدفع فى هذه السيارة مليما واحد من أمواله الخصوصية، وأنه كان قد اشتراها من مخصصات القصور الملكية..

وكانت هذه المخصصات كما كان معروفا جزءا من ميزانية الدولة..!

هدية من أحمد نجيب:

وتحدثت ناريمان مع فاروق أكثر من مرة بشأن عقد الزمرد..

وظل فاروق يتهرب من وعده، وهو يقول لها:

حاضر بس إستني شويه..

وكان يتذرع أمامها بأنه قد كلف أحمد نجيب الجواهرجى بأن يفتش له عن عقد ثمين ليهديه إليها برا بالوعد الذى قطعه على نفسه..

وحدث أن أثارت أصيلة هانم موضوع هذا العقد مرة أمام أحمد نجيب الجواهرجى..

كانت تريد أن تتأكد مما إذا كان الملك قد كلفه فعلا بالتفتيش عن عقد الزمرد لناريمان..

وسكت أحمد نجيب الجواهرجى ولم يقل شيئا..

إنه لم يكن يعرف شيئا عن وعد فاروق لناريمان.. وكان واضحا أن فاروق لم يطلب إليه أن يفتش لها عن عقد الزمرد..

ومرت عدة أيام ثم فوجئنا به وهو يستأذن الملك فى أن يهدى إلى ناريمان عقدا من الزمرد..

قال للملك: فى يوم ما أتجوزتم يا أفندم.. كان لازم أقدم للملكة هدية مناسبة..

ثم أخرج من جيبه علبة من القطيفة الحمراء، وكان العقد بداخلها، ثم قام بتقديمها إلى ناريمان..

ولمعت عينا الملك وهو يقلب العقد بين يديه، ثم ربت على كتف أحمد نجيب.. وهو يقول له:

- ياسيدى متشكرين خالص..

وحصلت ناريمان على العقد، ولكن هديه من أحمد نجيب الجواهرجى، وليس من فاروق..

* * *

إن فاروق كان شخصية عجيبة..

وكان - كما سبق أن قلت - يعانى الكثير من مركبات النقص..

وفى تصورى أنه لم يكن يحب أى واحد من الذين حوله..

كان يكرهم جميعا، ولا أظنه كان يشعر نحو أى واحد من رجال حاشيته بأى ذرة من العاطفة فيما عدا بعض الإيطاليين الذين كانت تضمهم حاشيته الخصوصية..

كان يحب الإيطاليين وحدهم من دون أجناس العالم كلها..

وفى اعتقادى أن ملازمة أنطونى بوللى له، كانت سبب الرابطة القوية التى كانت تربط بينه وبين هؤلاء الإيطاليين..

وكان فاروق يكره أن يحاول أى واحد من المقربين أن يرفع رأسه أو أن يحافظ على كرامته أمامه حتى ولو كانت زوجته الملكة.. !

وفى تصورى أن حياة ناريمان قد تحولت إلى جحيم إلى جوار الملك، وخاصة فى أواخر أيامه، وقبل طرده من مصر، بسبب مركبات النقص التى كان فاروق يعانى منها.

وفى تلك الأيام كان الملك قلقا بسبب تطورات الموقف وكان أن أخذ يتخبط فى تصرفاته..

وأذكر مثلا ما حدث بينه وبين ناريمان قبل ثورة الجيش وتنازل الملك عن العرش بعدة أسابيع..

كنا نتناول الشاي على ظهر الباخرة المحروسة..

وفجأة قال لى الملك:

- أنت تأخذ ناريمان تروحها ، وأنا رايح أسهر..

ونشبت مشادة بينه وبين ناريمان..

ولا أعرف لماذا أصرت ناريمان على أن تسهر معه فى تلك الليلة..

قالت له: فى كل ليلة تسهر لوحدك، ولازم أروح معاك النهارده..

واحتدمت المناقشة بين الاثنين، وثار الملك وهو يصيح فى وجهها أمام الخدم والسفرجية:

- أنت حتفضلى لزقه ليه.. يا شيخه روحي جاكى داهية..

وألقت ناريمان بنفسها على الكرسي ثم أخذت تبكى بحرقة..

وفجأة أنهارت أعصابها لشعورها بامتهان الملك لكرامتها بعد أن شتمها أمام الخدم والسفرجيه..

وصممت ناريمان على الطلاق، وكان أن قالت له وهى تصرخ فى وجهه:

- أنت وحش.. وأنا مستحيل أعيش معاك دقيقة واحدة بعد النهارده..

وأخذ الملك يقهقه ويضحك بطريقتة المعروفة.. وتلفت ناحيته محاولا أن أعرف سبب ضحكاته..

وكما فهمت.. لقد أعجبته كلمة وحش، فأخذ يضحك على طريقته..

وبمعنى آخر.. لقد أشبعت هذه الكلمة أحد مركبات النقص فى نفسه، فأخذ يعبر عن سعادته بالضحك والقهقة..

ناريمان تريد الطلاق:

أصررت ناريمان على الطلاق من فاروق.. وكان ذلك فى شهر يونيه سنة ١٩٥٢.

وتدخلت أنا وأصيلة هانم بدون فائدة، وبقيت الأزمة محتدة بين ناريمان والملك لمدة عشرة أيام كاملة..

وقاطعته ناريمان، وكان أن امتنعت عن الكلام معه..

قالت له.. أنها قد قررت مخاصمته وأنها ترفض أن تتكلم معه كلمة واحدة.. وحاول فاروق أن يسترضيها، ولكنها رفضت مصالحته وتسوية الأزمة وأصرت على أن يعتذر لها أمام نفس الخدم والسفرجيه الذين يعملون على الباخرة المحروسة..

وكان طبيعيا أن يرفض الملك ذلك وهو يقول:

- أنا أعتذر.. ؟ مستحيل.. عمري ما أعتذرت لحد.. ؟

وأصرت ناريمان على الطلاق..

ولكنها عادت وقبلت أن يعتذر لها فاروق.. ولكن فى حجرة النوم..

كان شرط فاروق ألا يشهد ذلك الاعتذار أو يسمع به أحد.. !